

## تجديد الخطاب الديني أم إفساده

بقلم د. صفاء الضوي العدوي

تتعالى الصيحات بهذه العبارة في الآونة الأخيرة ، وتعد لها المؤتمرات ، فما السر يا ترى؟ فقد بات العالم يعرف أن أمريكا مهتمة جداً بقضية تجديد الخطاب الديني عند المسلمين ، فهل بلغ إخلاصها لنا إلى هذا الحد أن تريد إصلاح المسلمين ، وإعلامهم بالفهم الصحيح لدينهم ؟ لا يصدق بذلك أحد ولا حتى البلهاء ، وإنما تريد أمريكا أن ننسلخ من ديننا الحق ، وأن نترك أصوله وعقيدته وشريعته وكثيراً من قيمه وأخلاقه تحت دعوى التجديد ، وما هي في الحقيقة إلا دعوة لمسح المسلمين وتشويه دينهم وسلخهم من هويتهم . ويتطلب ذلك المسخ أن يعتقد المسلمون أن الأديان كلها (حلوة) وأن المسلمين والنصارى واليهود وغيرهم من أهل الملل والنحل ( سمن على عسل) وأنهم جميعاً سيدخلون الجنة . وأن الخطاب الموحد القديم اللفظ المنفر الذي يقول أصحابه : إن الدين عند الله الإسلام : أي الدين الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه ، هذا الخطاب يجب فوراً أن يتغير وأن نبرأ إلى الله منه ونتوب ونعاهد الله ألا نعود إليه أبداً ، ومن أحب أن يقرأ تلك الآيات فليفعل ذلك في عقر داره وفي جناح الليل وأن يحاذر أن يسمع الناس منه ذلك ، فإن للجدران آذاناً .

ولطالما سمعنا منهم مقولة الاعتراف بالأخر ، ورفض الإقصاء ورفض الشمولية ، إلى آخر تلك المصطلحات الضبابية التي تطبخ في مطابخ العداة لهذا الدين العظيم، ثم تصدر إلى وكلائهم من الليبراليين المبتوثين في وسائل إعلامنا ليؤدوا مهمتهم في تخدير المسلمين وإضلالهم .

هلا كانت عناوين تلك المؤتمرات : الخطاب الديني بين أهل العلم الشرعي والأدعياء . أو بين التأصيل والتحريف ، أو بين الأمانة والخيانة .

إننا ندرك أن الخطاب الديني في ديار المسلمين يحتاج حاجة ماسة إلى التغيير ، فالخطاب الديني الرسمي في وسائل إعلام معظم البلاد الإسلامية ونظمها التربوية يتسم بالقصور والتحكم والجهل ، فهل نهضنا لتغييره .

الخطاب الديني الذي يتسهم ذروته الصحفيون والكتاب في صحفنا فيخبطون خطباً مستفزاً ، ويصبون على المسلمين صباح كل يوم ألواناً من البلاء يسمونه خطاباً إسلامياً ، فتقرأ كلاماً لا زمام له ولا خطام ، ولا رادع عنه من ضمير أو إمام ، .. من يوقفه ؟ من يحاسب المجترئين الذين لا يباليون بما يقترفون من تضليل وتحريف؟ إلام ندعو الناس وكيف ندعوهم؟

إن الخطاب الإسلامي ثابت يعرف مرجعيته وهي الكتاب والسنة ، ولا يجهل علماءنا ودعاتنا أساليب الحكمة في الدعوة ولا يغيب عنهم مستجدات العصر وتنوع الوسائل الموصلة للحق ، وهاهم نراهم على منابر المساجد وفي قاعات المحاضرات في الجامعات والمحافل ، وعلى صفحات المطبوعات ، وفي وسائل الإعلام المسموعة والمرئية وعلى مواقع الإنترنت، ولهم الحضور الكبير مع كل حدث في العالم.

لكن هناك من يريد أن يجدد بمعنى يغير .. بمعنى يفسد. إن التجديد الذي نفهمه ونراه سائغاً في الشرع ؛ هو ما كان مستنداً للحديث النبوي الشريف: ( إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) .

ومعنى التجديد في الحديث إعادة ما اندرس من أصول العقيدة وأبواب الشريعة بسبب الركود والانحطاط والتعثر الذي قد يصيب الأمة في مسيرتها وعبر تاريخها. وقد أوضح أهل العلم المراد بالتجديد في الحديث وذكروا أقوالاً منها: تعليم الناس دينهم، ومنه: إفشاء السنن وإعلاؤها ، وإعزاز أهلها ، وكبت البدع وإماتتها ، ومنها تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها، ومنها تصنيف الكتب الشرعية وتدريسها، فكلها أقوال تدور على معنى حفظ الدين من التحريف .

وتكلم علماءنا عن صفات من يقوم بالتجديد ، وأهمها أن يكون صالحاً في نفسه محافظاً على عباداته ، سليم المعتقد ، وأن يكون متفقها عارفاً بأقوال أئمة الفتوى ، وأن يكون على معرفة بواقع الأمة وما تواجهه من تحديات وصعوبات ، وأن يكون بصيراً بما يجري في العالم من أحوال وصراعات.

هذا هو التجديد من منظور الإسلام .

أما تجديدهم الذي ملأوا الدنيا به جلبة وصخباً فهو التلاعب بالمضمون والعبث بالمفاهيم ، وليس التجديد في الطريقة أو الأسلوب .

ويقولون: قصدنا مجارة التغيرات السريعة في العالم ، وأن ذلك يستلزم إعلان الرضا بهذا الواقع وتمريره ومباركته ، وتلك هي العولمة التي لا يفلت من قيدها إلا مجنون لا يقدر العواقب .

إن التجديد دعوة خطيرة ، يقصد منها – إذا تجاوزنا غفلة بعض من ينتسب إلى الدعوة ممن يشاركون في تلك المؤتمرات – أن يصنع الإنسان الدين الذي يراه مقنعا له ، دون تدخل النصوص الشرعية في تحديد الحلال والحرام والحق والباطل وما يحسن وما يقبح ، فما كان في القديم عيبا لا نراه اليوم كذلك ، لا بد من الاختلاط ، والتخفف من كثير من الحجاب وكثير من الحياء ، وينبغي إعادة النظر في مفهوم العفة ، دعوا الناس ينطلقون في الحياة ويعيشون مثلما يعيش أهل الدول المستريحة والمتقدمة .

إن إفساد هوية المسلمين من شأنه أن يفسح المجال أمام دعوات التنصير المحمومة والمدعومة من الفاتيكان ودول الغرب .

وإن إفساد الهوية الإسلامية من شأنه أن يجرم الإنسانية من هدايتها وأطبائها، ذلك أن دعاة الإسلام الصحيح هم قادة الإنسانية وهدايتها للحق إنهم يحملون لها نور الرسالة العظيمة .. رسالة التوحيد .

إذا استطاع اليهود والنصارى أن يمرروا خطتهم في إفساد مفاهيم الإسلام تحت دعاوى التجديد ، فإنهم يكونون قد آمنوا دولة الصهاينة من كل خوف وفزع يملأ قلوبهم من المجاهدين عشاق الشهادة في سبيل الله .

وهذا التجديد المشبوه يحقق لهم إماتة روح الجهاد في نفوس الأمة؛ مما يسهل اختراقها واحتلال بلاد المسلمين من قبل الصليبيين المتربصين، كما يساهم في تثبيت احتلال اليهود لفلسطين وسيطرتهم على بيت المقدس .

إنهم يقصدون من دعوتهم بمسح هوية المسلمين تحقيق أطماعهم في تحويل أمة الإسلام إلى قطيع لا يملك من أمره شيئا ، يستسلم لما يريدون . ويريدون قطع الأمة عن سلفها الصالحين ، وهم أهل القرون المفضلة .

يريدون أن نسكت فيدخلون مدخلا جديدا ، فيقولون : إن دور الدين في الحياة يحتاج إلى إعادة نظر ، ويقصدون من ذلك أن يكون دوره هامشيا ، كما هو الحال في المجتمعات الغربية.

ونسكت ،ونسكت ،ونسكت حتى يقولوا كلمة الكفر صريحة عالية لا تعرف خجلاً ولا وجلًا.

عند ذلك يكون الدين قد اندرس في نفوس كثير من المسلمين وغاب عن حياتهم ، وهذا هو الخراب الذي يسعى له يهود منذ عقود من الزمان .  
وأخيراً:

إن على حكام المسلمين أن يرفضوا بشدة تلك الدعوات وأن يأمرؤا بمواجهتها ، ذلك بأن المحافظة على دين الأمة وهويتها الإسلامية من أهم مهامهم ومسئولياتهم .  
كما أن على علماء المسلمين في أقطار الأرض أن يهبوا لصد تلك الدعوات المحمومة وبيان خطورها وتحذير المسلمين من الوقوع في حبالها.

---

ملاحظة : المقال مستفاد من كتاب تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف للشيخ محمد بن شاكر الشريف.

**د. صفاء الضوي العدوي**